العـــراق

دراسة في الفن العراقي المعاصر

((جمـاعة بغداد للفن الحديث))

تأسست جماعة بغداد للفن الحديث سنة ١٩٥٠ وكان مؤسسها الفنان المرحوم ((جواد سليم)) والجمـاعة تضم عدا جواد ((نزيهـة سليم ، لورنا سليم ، اسماعيل فتـاح الترك ، قحطان عوني ، جبـرا ابراهيم جبرا ، ـفرج عبو ، بوركو لازسكي ((عضـو شرف)) ، نزار سليم ، فاضل عباس ، ميران السعدي)) ، اما الاعضاء النحاتون فهم : ((محمد الحسني ، خليل الورد ، محمد غني ، عبد الرحمن الكيلاني)).

ان هذه الجماعة تضم فنانين من مختلف المدارس ولكنهم يلتقـون في نقطة واحدة هي الطريق التعبيري الشعبي المعطاء النافذ الحدقة في المجتمع الريفي والمحلي الذي نراه في اكثر اللوحات والذي ينقل لنا صورة واضحة عن النسق القديم والحياة الرتيبة التي كان يحياها مجتمعنا ولم يزل ببساطة متناهية ((فهم يريدون تصوير حياة النـاس في شكل جديد يحدده ادراكهم وملاحظـاتهم لحيـاة هذا البلد الذي ازدهرت فيه حضارات كثيرة واندثرت ثم ازدهرت من جديد . انهـم لا يغفلون عن ارتباطهم الفكـري والاسلوبي بالتطور الفني السـائد في العـالم ، ولكنهم في الوقت نفسه يبغون خلق اشكال تضفي على الفن العراقي طابعا خاصا ، وشخصية متميزة)) .

والفنان الحديث الثاقب البصيرة ، المتعمق في تصويره لهـذه الحياة التي آل اليها انسان هذا العصر ، المنطلق من قوقعته نحـو فضاء رافق بالتجديد نراه يفسر مواقفه الذاتية التفسير الرمزي الذي تسعه الالوان كقوة حيوية واضمامة تكوينية للشكل المتطور ..

ان جماعة بغداد للفن الحديث تسير بخطى حثيثة لكي ترتصف في اتجاهها الفني مع المدارس العراقية الاخرى ولكن بوجود بعض الفوارق التي يمكن ان نلخصها بمـا يلي :

أ ـ ان هذه الجماعة تعبر او تحاول ان تعبر عن المعاناة المعاشه وتعطي لهذه المعاناة كل قيمتها الفنية بحدود ما تطرقه مـن مواضيع شعبية .

ب ـ وبالاضافة الى هذه المعاناة نحدق في العالم المحيط بنـا بظواهره الالي وحياته الصاخبة ، لترصد له منفذا ضيقا .. دون ان ندخل الى قبوه المظلم ،.. ولكن احد روادها وهو ((اسماعيل فتاح الترك)) تمكن من ان يدخل الى هذا القبو ويخطط اشكاله بطريقـة حديثة ، عميقة المعنى .

ج ـ البيئة وما تسبغ على التقاليد من طابع شعبي ، معروف ، تتمثل بأعمال اكثرية فناني هذه الجماعة .

ان اللون يبرز في اعمال هذه الجماعة بتركيز واسع عميق ويبقى هذا اللون على تقاطعه الاستاطيقي ، المتموج ، وعلى عمقـه هـذا ، معطيا لكل ظاهرة طابعها الخاص ، اي ان جماعة بغداد تميل الـى الطبيعة وما تحتوي وخاصة الانسان البسيط يظهـر على اشده في لوحات هؤلاء الرسامين وخاصة في اعمـال ((جواد سليم)) المؤسس الاول لهذه الجماعة .. ولوحاته التي اطلق عليها فيما بعد ((بغداديات)) تعبر كل التعبير عن هذه السمة التي ذكرناها .. ان اعمـال جواد سليم تتميز بما يلي :

أ ـ الاقتراب من الطبيعة وتصويرها عن كثب موضحا في ذلـك النهج العام الذي يسير عليه الا وهو الكشف عن غموض هذه الطبيعة ومكوناتها الداخلية .

ب ـ اعطاء الرمز ايحاء صرفا ، رصينا ، وجمع ما يعبر عن البيئة والتقاليد الشعبية في رموز لونية او انسانية تعبر عن المقصود .

نظرة ذات معنى ـ خليل الـورد

***

ج ـ استعمال الالوان وخاصة البراقة .

د ـ استغلال اللون الابيض للسيطرة على جوانب اللوحة ، جاعلا اياه اطارا للوحاته بالرغم من صعوبة استعمال هذا اللون .

هـ ـ التأثر بالمدارس الاوروبية .. الحديثة واظهارها بطريقـة ذكية .. وفي صياغة فنية بارعة بل هي ((اكثر من صياغة فنيـة .. انها بصورة رئيسية طريقة رؤية ، اداة لتحليل العالم الذي حولـه وكشفـه للنظر ، انها صياغة فنية حديثة ، رغم انها تنشأ من ذلـك الفرع من ((العصرية)) الذي يهدف الى التحكم بالعالم ، المحيط بـل هي تنتمي بالاحـرى لذلـك الفرع التكميلي المتخلف الذي يحـاول التغلغل في الاشياء وفهم ابنيتها واعادة خلقها بوسائل فنية)) ـ مجلة ((فكرة وفن)) الالمانية ـ جواد سليم ـ بقلم ارنولد هوتنيكر ـ ان جواد سليم اعطى لنا فنا مستقلا اي انه ولد في فن الرسم العراقي نظـرة حقيقية عن المجتمع والحياة والتقاليد التي نعيشها .. فهو يرسـم والثلاثي ((الطبيعة ، الحقيقة ، الواقع)) تبرز في توثب وحيوية لكي تعطي لنا ما اراد ان يعطيه الفنان ، ففي لوحته ((ليلة الحنة)) نرى امرأتين .. في جلسة نسوية اظهرها بطريقة مباشرة كسمة للفتـاة فالعروس نراها تجلس في استرخاء .. والاستحياء باد على وجههـا وعيونها الكبيرة السميكة تغط في رؤيا بعيدة .. بينما تجلس الاخرى .. تعقص لها ضفيرتها بحيوية ونشاط ، والفنان بذلك لا يترك اللوحة على رتابتها وموضوعها البسيط ، بل يبرز لنا في شيء من الدقـة ملامح من المجتمع والتقاليد البيتية التي نراها في كل لحظة والتي تريد

ان تقول لنا .. بان هذه اللوحة شرقية .. ومن العراق بالذات .. ويبرز في اعمال « جواد » « التدوير » في الوجوه الذي كثر باستعماله كمحاولة للوصول الى التجريد الجديد من خلال الوجوه وتقاسيمها المختلفة فنرى ان هذا التدوير يظهر لنا في رسوم « فائق حسن » و « اسماعيل الشيخلي »(*) .. الا انه يبزغ في رسوم « جواد » في روحه المعبرة وسماته القوية البعيدة الرمز وفي هذه الوجوه المدورة نراه يركز على العيون معطيا اياها حدقة كبيرة سميكة الشكل ، موفقا في قسمات الوجه والتدليل على الانفعال الذي يظهر عليه.. اما الجسد فنراه ثخينا ، مكتنزا ، مدورا ، يتدرج في هذا التدوير حتى يصل الى النتيجة المطلوبة .. اي هو هرمي الشكل ..

وتأتي نزيهة سليم لكي تقتفي خطى « جواد » في رسومها وان كان لها اسلوبها الخاص بها .. انها تتعمق في الوجوه الريفية تعمق الانسان في محاولة معرفة ذاته . واذكر انني سألتها مرة لماذا ترسم الوجوه الريفية بكثرة ؟ فقالت « اني متأثرة فعلا بالوجوه الريفية وخصوصا بنساء الجنوب ، ولا ازال ابحث عنها وسأستمر ببحثي وسأرسم وارسم وجوها لنساء الجنوب واتمنى ان اعيش لمدة معهم لارسم مواضيع عديدة من حياتهم الاجتماعية » وهي بذلك تتقن رسم وجوه النساء وخاصة « الجنوب » في دقة متناهية وذلك لما في هذه الوجوه من تعبيرات بارزة .. اسبغتها عليها الحياة بل الطبيعة .. وبهذا تعود الى اسلوب « جواد » لكي تخطط القبب والمساجد والشوارع ، في امتزاج لوني وتورية فنية اصيلة ، اي انها تحدق في هؤلاء الناس السذج ، وفي هذه الحياة البسيطة ، واجدة فيها مادة خاما لتصورها الذهني ، وتعبيرها البريء .. لكي تنقلها لنا في صدق ، وحرارة ، ودون تزييف .

الا اننا نراها تبتعد عن هذا الاسلوب في لوحتها « طبيعة صامتة » وهي تمثال على شكل « اوزة » .. صامتة في وقفة جامدة ، وحركة استثنائية ، تقبع بجانبها جرة غامقة اللون بلا حركة .. وطبيعة صامتة التي رأيناها عند اكثر الرسامين وخاصة في معرض (**)

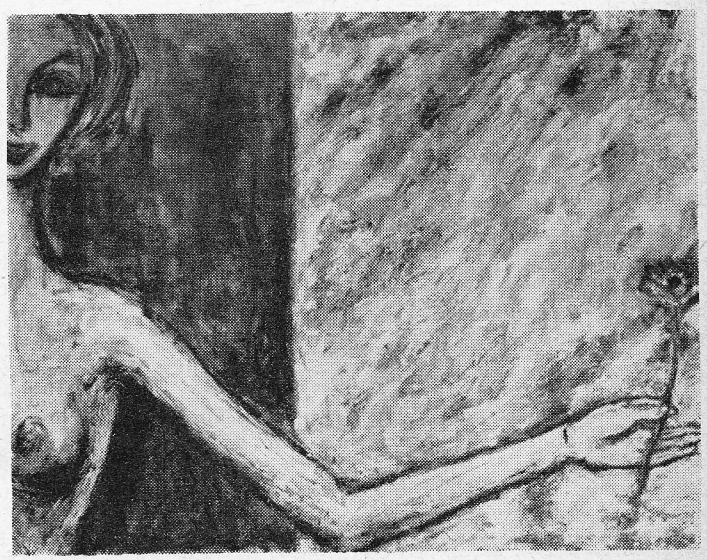

صورة فتاة ـ جبرا ابراهيم جبرا (١٩٦٥)

* * *

(*) فائق حسن : المؤسس الاول لجماعة الرواد ، اسماعيل الشيخلي : من جماعة الرواد .

(**) اقيم هذا المعرض في بغداد وقد كتب عنه في جريدة كل شيء العدد « ٤١ » ١٩٦٥ .

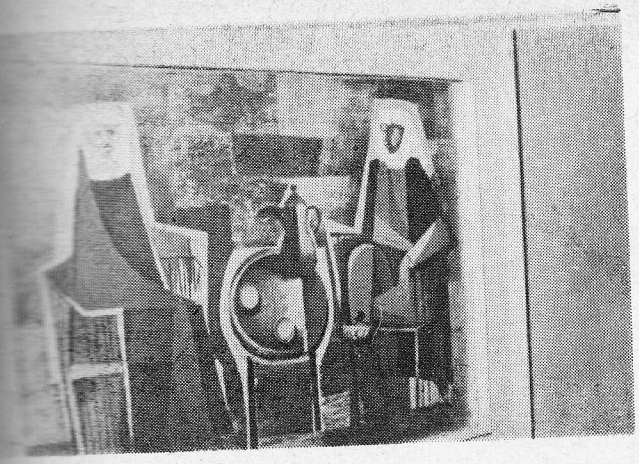

صديقان ـ بوركو لازسكي

★★★

« الحفر على الخشب للفن الهنغاري » تتمثل في اكواب فارغة ، وقناني من نبيذ يخيم عليها الظلام بعنف .. والتي تمثل احتضار هذا العالم الذي يتقلب في يأسه العميق المميت على هذه الارض .

وفي هذه اللوحة نراها تبتعد عن اسلوبها القديم في الرسم الذي لو تعمقت فيه اكثر لعبرت عنه اكثر .. .

وتأتي لورنا سليم لكي ترتصف مع « جواد ونزيهة » مكونة اللون ذا طابع واحد وميزات فنية واحدة من حيث الشكل والمضمون ـ اي ان هؤلاء الثلاثة تأثروا بمدرسة واحدة الا وهي المدرسة الانسية الحديثة ، وساروا على نهجها في طريق واحدة ..

ان لوحة لورنا سليم « اسرار الليل » ببساطتها الشعبية وعذرية تعبيرها تقف مع لوحة نزيهة سليم « وجهان » .. ففي لوحة « لورنا » تظهر لنا امرأتان في زي شعبي من الجنوب احداهما تحمل « الجرغد » بسواده المعتم على « جبينها » وقد طوقت رقبتها « الفوطة » بينما التفت العباءة حول جسمها بتناسق بديع .. تاركة انفها تتدلى « الخزامة » لامعة وفي نفس الوقت يلوح لنا السطح « جواد » حيث الوجوه المدورة والعيون السميكة الكبيرة والانوف الرفيعة والشفاه المطبقة كأنهما سمكتان ممتزجتان ... وفي لوحة « نزيهة » نرى نفس هذه التكوينات ولكن باعطاء الهيئة العامة للوجه طابعها الخاص بها .. اي هي تصور الوجود .. فعلا عن مصدرها الا ان لورنا سليم تأخذ من المناظر الطبيعية حدتها ، وتأثيرها على العين فتصور لنا « السراي » و « الاعظمية » و « بيوت كرخية » و « جامع الخلاني » في اللون الاصفر والابيض الفاتح مخططة المنائر والقبب بكلاسيكية عميقة ، ناقلة الاشياء بكل صدق اي انها تبتعد عن الرمز وتقترب من الواقع بعكس زوجها « جواد » الذي يقترب من الرمز المحلي ويأخذ منه كل ما يريد ان يعبر عنه في هذا الاطار ، معطيا لكل خط ايحاءه الخاص به ، كالكف والهلال ، والشبابيك البغدادية والالوان الشرقية والقبب ، وهذا ما يظهر لثاني لوحاته « بغداديات » او في لوحته « بعد القيلولة » حيث نرى امرأة متمددة باسترخاء عميق على « دكة » عالية ، ساندة رأسها بساعدها الايسر ، بينما وقف بجانبها قط ابيض يحدق بها .. وهو بذلك يرمز للتآلف بين الانسان والحيوانات التي تعج بها البيوت البغدادية .. والجرة التي في اقصى اليمين تريد ان تقول لنا بأن الدنيا صيف ... الا انه يضيف الى هذه اللوحة التقاسيم الهندسية التي تستعمل في الشبابيك البغدادية بأطر مختلفة ، منسقة ، في اسفل اللوحة واعلاها ، بالاضافة الى النخلة التي تبرز من الخلف بسعفها المتمايل بكل هدوء .. وكذلك يظهر لنا ذلك في لوحة « الشيخ والراقصة » وفيها كفوف وقبب ومنائر في تكنيك صوري بديع .. وهنا يمكن ان نميز اعمال هؤلاء الثلاثة بما يلي :

الجريح « خشب بارز » ـ محمد عني

***

أ ـ النظرة العفوية الى الاشياء المألوفة والامتزاج حين الاقتراب منها وتصويرها بلا تزييف .

ب ـ محاولة اللجوء الى « المدرسة الانطباعية » والذوب في تفاصيل الطبيعة ونقل كل ما تقبح به من حركة وفعالية ، بالاضافة الى الاهتمام بالانسان .

اي ان هؤلاء الرسامين عندما يقتربون من الطبيعة يأخذون منها كل صغيرة وكبيرة او قل هم يستسلمون لها .. وهذا ما رأيناه في رسوم « فرج عبو » ومناظره الائتلافية الطبيعية المتمثلة بطبيعة لبنان وخواطره السحرية .. حيث الاشجار ذات الاوراق الخضراء تتشابك فيما بينها بقوة مبرزة سياقها العام ، ولا عجب اذ قلت بانها جزء من الطبيعة .. وهنا يترتب على الفنان ان يدرك هذا الاستسلام ويبتعد عنه قليلا لكي يرى الاشياء على حقيقتها لا ان ينظر الى سطحيتها بسلا عما يدور في داخلها الا اننا نرى « فرج عبو » في لوحته «الجزائر» يصور لنا المعركة المقدسة التي خاضها شعب الجزائر البطل حيث يعبر بالالوان مظهرها المعبر .. ولو قارنا هذه اللوحة بلوحة « معركة الجزيرة » التي صورها اكثر الفنانين الكوريين لرأيناها اضعف بناء وتصويرا للاحداث .. فقد التزم الفنان الكوري هنا بالطابع

* عالجت هذه الناحية الثورية في مقال لي بعنوان « الفن الكوري بين اللون والالتزام » ـ الثورة العربية ـ ١٤ ـ ٦ ـ ١٩٦٥

الحماسي للوحة ووجهها وجهة ثورية صرفة بالتزامه الكلي للون (*) وتسييره آياه لكي يعبر عن ابعاد اللوحة من خلال نظرة واحدة اليها » فالنار نراها تشب بشكل مفزع فظيع بينما نرى الثوار يقفزون اضواههم بحماس شديد وتآلفهم على الاسلحة في صمود عنيد ، وعندما قرأت عنوان لوحة « فرج عبو » تصورت بأنني سأجد هناك ملحمة طويلة ، طويلة سوف احدق بها بكل امعان ، تصورت بان الصياح سيصم آذاني وان اصوات المدافع والرشاشات ستطلق امام عيوني بوحشية غادرة ، الا انني عدت بالفشل حين نظرت الى اللوحة » فوجدت الجياد طافرة الى اعلى بلا مبرر وكأنها في حلبة الترويض ، والجنود الافرنسيين فوقها قابعين عراة الاجسام في ايديهم الاسلحة وكأنها جماد .. ان المأساة نراها واضحة على وجوههم بعكس ما نرى في الشعب الجزائري المتمثل باشخاص عراة ايضا ، يقفون هكذا دون حركة ، وهنا يحاول « فرج عبو » ان يعطي لهذه اللوحة مدلولها حين جرد المظهر الجانبي الذي اصبح كأطار للوحة من الحياة الذي ترمز اليه الصحراء الشاسعة والاشجار التي تساقطت اوراقها بعكس ما يتوجب عليه بأن يركز على المأساة كأن تشب النار في البيوت البعيدة التي في اقصى اللوحة ، وهنا يقنعنا بما اراد للوحته من ان تعبر عنه ، وكذلك التركيز على الذين اصابتهم الفاجعة .. ففي الزاوية اليمنى تقف امرأة وكأنها تهم بالسباحة ، وليست امام رشاشات العدو التي اطلقت نارها في الوسط على شخصين في حالة هياج ، وقد اصابتهم الطلقات النارية وبالرغم من ذلك فأن فرج عبو نجح في اعطاء التكنيك الصوري للوحة في بعض الوجوه ، اي اجاد في ملء اللوحة بالطابع التراجيدي الواقعي ولكن دون ان يدلل على هذا الطابع .. لقد كانت مبادرة ذكية من « احسان الملائكة » و « جليل كمال الدين » حين قارنا بين لوحتي « فرج عبو » و « محمود صبري » « الجزائر » في مجلة الاداب في العدد ٦، ٧ ، ٨ لسنة ١٩٥٨ .

ان التركيز على اللون في مجال الاستقطاب الفني للوحة يعطيها فنية وغنائية اكثر ، لذلك نرى « فاضل عباس » و « بوركو لازكي » يعطيان للون اهميته في ابراز المدلول العام للوحة .. فالثاني يعطي للحياة الريفية العراقية موضوعا متدفقا بالحيوية والبهجة ، ويرمز له بالعطاء والخير المتمثل بالالوان الذهبية وانتقالية تكوينية معبرة .. انه هذا الفنان اليوغسلافي نراه يعطي للون كل مدلوله الخاص .. ويلتزم تموج اللون ، وتقاطعه وتناسقه .. أي هو يلتزم بما قاله سيزان عن اللون بوصفه « المكان الذي يلتقي فيه روحنا بالعالم » والذي تشده « باول كلية » فيما بعد وطوره كاندينسكي في ايقاعات لونية بارزة .. تنساب كالموسيقى ، في شاعرية وفاقة ، و « بوركو لازكي » نراه يركز على شمس العراق بصورة اساسية . انه يقول « نعم انني متأثر جدا بالحياة الشعبية العراقية وقد احببتها كثيرا ، والا لما رسمتها .. وخاصة شمس العراق » ففي لوحة « صديقان » يمثل لنا شخصين في جلسة ثنائية في مقهى وقد توسطتهما « دلة » القهوة .. انها صورة من المجتمع العراقي .. الذي يبرز من اللباس المحلي حيث « الفترة » و « العباءة » و « الدشداشة » انه .. يؤلف هذه الجلسة ، بلونية ، فارهة ، ارستقراطية .. متأثرا بشخوص « فائق حسن » ولوحاته التي تنمو هذا النمو .. بل قل هي تقترب اقترابا كليا من لوحة فائق حسن « المضيف » ولكن الطريقة التي رسم بها « بوركو » صورته تختلف عن الطريقة التي رسم بها « فائق » صورته . اذ ان الاول ابرز الزي و « الدلة » بشيء من الاهمية ، بينما ابرز الثاني الجلسة المعبرة كأساس للوحة .. ان هذا الفنان يقف في قمة عالية لكي يأخذ من الفن العراقي اهتمامة تكوينية خارقة ، معبرا عنها بكم احاسيسه .. فالذي ينظر الى لوحاته يتوهم بأن الذي رسمها عراقي صميم ، بل وعارف بكل صغيرة وكبيرة عن هذا المجتمع الطريف .

ان جماعة بغداد تبتعد ابتعادا كليا او لنقل كبيرا عن المدارس الحديثة التي تحدبت اقلامها وانتحرت في مأساة جارحة ، بالاضافة الى

« ان (١) الفن في السنوات الاخيرة اخذ يسير بخطى سريعة نحو الانطلاق وفي محاولة مميتة في بعض الاحيان وذكية في الحين الاخر .

ان هذا التبلور السريع في النظرة الانسانية الفنانة تولدت من الظروف العامة التي مر بها الانسان الحاضر ، هذا الانسان الذي انقبض على نفسه في عنف جبار لكي يصل الى النتيجة الحتمية التي ينتظرها لحظة لحظة » والفن العراقي الجديد نراه يلتصق بالمدارس الحديثة ، معلنا انهزامية هذا الجيل الذي يقيء آلامه بانتحار ، زيفي عقيم ، بالرغم من ان هذا الفن له طابعه الخاص واسلوبه الفني المتصل بالطابع الشرقي الحديث الزاخر باللون والصورة والتجسيم الايحائي الحر ، المتدفق للحركة الديناميكية والتشكيل الفني ، أي هو يقتصد في معاناته الشاملة لكي يمحص مفهوم المرئيات بطريقة صحيحة ..

والفن التجريدي يضمر الحيثيات البراقة لابعاد الصورة لكي يغرق في خطوط متشابكة ، وتقاطيع لونية مفرغة ، واثره في حلقة الوجود ترقب ساعة الخلاص الدنيوي ، الذي تحاول ان تعبر عنه وتأخذ منه كل ما يرصد لها من تشكيلات مرئية ، فاقدة لجماليتها المحسوسة ان هذا الفن اخذ يرسخ في اكثر لوحات رسامي العراق بل وقصائدهم وموسيقاهم ومن بين هؤلاء « اسماعيل فتاح الترك » الذي ينفرد بتجريديته عن باقي جماعة بغداد .

ان رسوم هذا الفنان تنمو نموا عصريا حديثا ، ولوحاته ساكنة هادئة وخاصة بالنسبة لمزج الالوان المائية ، في جل لوحاته التي تنساب منها موسيقى روماتسية في وداعة حالمة ، انه يبحث عن ذاته من خلال اللونين الابيض والاسود .. واجدا ترقية موجية اللون في الازرق الفاتح ، وتتعرى الاجسام في رسوم « اسماعيل » فاقدة توازنها الانساني ، وخاصة في « تكوين رقم ١ » و « تكوين رقم٢ » « ودراسات تخطيطية » حيث انه يرمز في هذه اللوحات الى شيء بعيد ، بعيد كاللانهاية انه يريد ان يقول بأنها مأساة .. مأساة عميقة ..

ان امتزاج اللون الابيض مع الوان اخرى فاتحة في الاجسام العارية يمثل لنا « العذرية » بكل ابعادها وصورها التكوينية ، الا اننا نرى بأن « اسماعيل » يسرف باستعمال هذه الالوان في لوحات اخرى تعطي مدلول الصخب الجسدي واللذة التي لو صورت باللون الاحمر الغامق مثلا لاعطت صورتها التكاملية في نظرة واحدة ..

الا اننا نرى هذا التعبير الصوري الصاخب يظهر في لوحة « شخصية وموضوع » بالرغم من هدوء التعبير ، وهذه الصورة تنفرد عن غيرها بسلاسة التعبير وانطلاقته الفياضة الى التعبير المتكامل ، فميل الرأس ووضع اليد ، والوقفة المسترخية ، المعبرة ، وتدفق اللون الاحمر حدد معالم حذقة الفنان المعبرة ورصد لها تكنيها الشعوري الواضح . والشيء الغريب في رسوم هذا الفنان هو انه لم يصور لنا الطابع الشرقي الجذاب الذي اقنعنا « فائق حسن » و « جواد سليم » بانه حي مدى الزمن وانه نبع من ينابيع الروعة وهبة من هبات الطبيعة كأن هذا الفنان يجرد لوحاته من المفهوم الكلاسيكي لقد سألته مرة في مقابلة (*) صحفية عن المدرسة التي ينتمي اليها وهل هو تجريدي اجاب « تقريبا .. وفي كل لوحة ولمسة من لوحاتي استعمل اللون التجريدي وامزج بين ال « فكر » والتجريد » وعندما قلت له بأن التجريد صورة للجيل الحاضر فبماذا تعبر عنه قال « التجريد اسلوب قديم وليس بحديث حيث تطور وولد من المدارس التعبيرية والسريالية ، وكل ما هنالك ان الفن المعاصر يهتم بخلق جديد ، للشكل والتكوينات ووضع الانشاء البنائي للوحة » .

ان جماعة بغداد ، تنفرد في قابليتها على ابعاد الزيف المنمق من اللوحة والمحاولة الجدية والاقتراب من الايعاب الذهني للانتقالات التوسعية للفن أي ان هذه الجماعة تمتاز بتناسق خطوطها العفوية

طبيعة صامتة « زيتية » ـ نزيهة سليم

★★★

المركزة ، لتهيئة الجو الايقاعي الملائم للوحة ، وهذا ما بينه لنا « جبرا ابراهيم جبرا » في تكويناته الباهتة الالوان وتعبيراته الانتقالية التي يرتوي منهلها الوانا جذابة في لوحة « دراسات تخطيطية » حيث ينطلق من الفراغ والعتمة والجسد الى التصوير التعبيري الجنسي المتمثل بخطوط تشكيلية زاهية .. ان هذا الفنان يأخذ من التراث الانسانية آفاقا باهرة للمسات لوحاته التي تمتاز بقوة ايقاعها وتأثرها للمشاهد بشيء من اللاشعور انه يوفق بين ما قاله « ديلوني » « الفن هيا الخبرة والمشاهدة لما حدث كلية كيف ان الضوء الذي يغمر كل شيء يوحي بايقاعات تذعن لتباينات مصطنعة في الالوان وكيف ان الشيء والشكل يقيمها الضوء واللون ايقاعا في المظهر وشعرا في الشعور » ـ باول كلية ـ مجلة فكر وفن ـ بقلم ـ فيل جرومان ـ وبين ما قال هايجلر « ان الفن يعد بمثابة الطاقة الوحيدة التي تستطيع ان تعبر عن ملامح العصر . او هكذا ظل دائما في الماضي وما زال حتى يومنا هذا » برتهارد هايجلر ـ فكرة ومن ـ ترجمة مجدي يوسف .

ان « جبرا » يمزج في لوحاته بين الشعر واللون .. اي هو يستقطب اللون في ادراكه الصوري وحالته الشاعرية لكي يعطي للوحة نوعا خاصا من التعبير يختلف كل الاختلاف عن اعضاء هذه الجماعة « فالعائلة » التي رأيناها في اكثر رسوم هذه الجماعة قابعة في قيمها القديم ، حانية ظهرها للسذاجة ، والبساطة ، نراها في رسوم « جبرا » خاضعة لتطور هذا العصر .. وتكشفه المدني الماضي الى حيث التقدم ـ فترى الام في وقفتها الحانية وفي مسكها لطفلها يقلل الوداعة العصرية تشكل هيئة متماسكة حين نرى الاب وقد وقف في ثبات عميق ، يحدق في المستقبل ، الا اننا نرى في هذه اللوحة ، الابتعاد الجزئي في اعضاء هذه العائلة اي ان اللوحة تفتقد للحنو العائلي ولترابط المتين وان كان ما يقصده « جبرا » هو عين الصواب ونعني بالذي يقصده هو تشتت العائلة العصرية ، وافتقادها الى الترابطي بعكس ما نرى في لوحات « جواد ونزيهة ، واسماعيل الشيخاني » مثلا حيث الترابط واضح جلي في العائلة الريفية .. وهذا التشكيل الذي قدمه « جبرا » باخذ مجراه الزمني لكي يعطي صورة تعبيرية رمزية في لونين ارستقراطين هما الوردي ، والابض في لوحة « فتاة » حيث يقترب « جبرا » من « التجريدية التقليدية المحلية » وتكورها في النهد النصفي والعين اليسرى ، والذي يتعمق في الوسط حيث يحدد اليد الطويلة الرقيقة التي اينعت في انامله وردة متفتحة في فراغ لوني ، مهيب .. ان الفنان في رأيه « هو الذي يستجيب بقوة للحياة .. للاشياء والناس .. يعشقها ويغلق عليها ويفكر بها ويتحدث عنها ثم يخلق منه متأثرا بكل ذلك ؟؟ »

---

(١) من مقال لي نشر في جريدة الثورة العربية بعنوان : « نظرة الفن الامريكي » ١٧ ـ ٥ ـ ١٩٦٥

* جريدة كل شيء ـ الاثنين ٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

قرويتان ـ ميران السعدي

★★★

وفي نظرة قصيرة الى لوحات « جبرا » يرى المشاهد نوعا من الموسيقى الحالمة تنساب بهدوء شامل ومعها الشعر يتدفق بطراوة حلوة مشكلة « توفيق » بين الرسم والشعر والادب .. فهي كلها وسائل تعبر عن استجابتي للحياة باستمرار » .

ان الظواهر الطبيعية ، والكونية تحتل المكانة الاولى في رسوم ثلاثة من هذه الجماعة هي « قحطان عوني » « نزار سليم » « ميران السعدي » .. فقحطان عوني نراه يهندس الاشكال بطريقة دورانية ويستعملها كصلة تربط بين الانسان وهذه الملامح الكونية ، التي يسيطر القمر فيها بصورة اساسية على رسومه .. فهو تارة في الوسط .. وتارة يبزغ من بين الشبابيك كاللص في لوحتيه « تكوينات » حيث الكون الاسود « الفحم » يأخذ مكانا اساسيا في تحديد ابعاد اللوحة .. التي يعطيه هيئة كاملة في التدرج للاقتراب من هذه الملامح ..

ان القمر يبزغ لنا في لوحات هذا الفنان بكل تلك الاشكال بصورة عفوية من بين البيوت الشعبية الرابطة كالمستخيل والذي يبينه لنا « نزار سليم » في لوحته « كمرية » بانتعاش وامل ...

الا ان « نزار سليم » نراه يقترب من الملامح الشعبية مصورا اياها بذات الطريقة التي صورها « جواد ونزيهة ، ولورنا » .. وان كان متأثرا بالحياة الاوروبية في لوحتيه « سودانية » و « في المانيا » الا اننا نراه يقترب اكثر من الطبيعة لكي يصور لنا الحيوانات في انسياب لوني مطبوع وخاصة في لوحة « زرافتان » و « في الحديقة » و « رجل وعصفور » الذي ظهر في الرسوم القديمة بكثرة .. لما للصقر من اهمية عند الملوك في القديم .

الا اننا نرى « ميران السعدي » ينعطف في لوحاته الى البحر لكي يصور لنا « الاسماك » و « رمل الصيف » بطريقة ايحائية جامدة ، فهو لا يتعمق في الاشياء المنظورة ولكن يأخذ منها سطحيتها ، بعكس ما نرى في لوحة « قرويتان وربابة » حيث ترابط الفكرة مع الهيئة العامة للوحة .. وتكتمل اخيرا في ابراز اللون واعطائه الروح ليعبر عن « الفكرة » من خلال التصوف المركز على النظرت لتي تربض في وجهين قرويين .. مع ربابة ... والفنان ميران السعدي له اعمال غيته كذلك ولكنها تفتقر الى العمق كما قلت .

ومن النحاتين « محمد غني » الذي تسيطر على « تماثيله » الطمأنينة حيث « بغداديات » متنوعة في وجوه ريفية وعادات ريفية وجو ريفي تتفح لنا في اكثر شخصيات « تماثيله » التي تعبر بصدق عن سذاجة الشخص الريفي واعجابه باللون والهيئة .

ولا بد لي هنا ان اعتذر لعدم مرضي للاخوة النحاتين ، املا في ان اكتب عن نتاجهم في مرات قادمة .. وذلك لعدم توفر المصادر الفنية لاعمالهم من جهة ولتركيز هذه الدراسة على فن الرسم فقط وان كان النحت مكملا له .

بغداد — عبد الرحيم العزاوي

المصادر :

١ ـ جريدة كل شيء ـ العدد ٤٣ ـ ١٩٦٥ « في معارض الفن » عبد الرحيم العزاوي

٢ ـ جريدة الثورة العربية ـ من مقال لي بعنوان ـ نظرة في الفن الامريكي ١٧ ـ ٥ ـ ١٩٦٥

٣ ـ جريدة كل شيء من مقالة لي بعنوان « في معرض اسماعيل الترك » ٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

٤ ـ فكرة وفن العددين « ١ ، ٣ »

٥ ـ مجلة الاداب الاعداد « ٥ » لسنة ١٩٥٧ « معرض بغداد للرسم والنحت » « ١٢ » لسنة ١٩٥٧ « الفن العراقي المعاصر في بيروت » ، « ٦ ، ٧ ، ٨ » لسنة ١٩٥٨ « المعرض السادس لجماعة بغداد » احسان الملائكة .

٦ ـ « الفن الكوري بين اللون والالتزام » عبد الرحيم العزاوي ـ جريدة الثورة العربية ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٦٥

دار « الاداب » تقدم

« چومبي »

قصة طويلة بقلم

اديب نحوي

الثمن ١٢٥ ق. ل. منشورات دار الاداب